

تفسير البحر المحيط

@ 379 @ القرب والتأنيس . وهنا ترتب للأشقياء الإبعاد من رحمة الله . وسوء الدار أي :
الدار السوء وهي النار ، وسوء عاقبة الدار ، وتكون دار الدنيا . ولما كان كثير من
الأشقياء فتحت عليهم نعم الدنيا ولذاتها أخبر تعالى أنه هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر ، والكفر والإيمان لا تعلق لهما بالرزق . قد يقدر على المؤمن ليعظم أجره ، ويبسط
للكافر إملاء لازدياد آثامه . ويقدر مقابل يبسط ، وهو التضييق من قوله : { وَمَنْ قُدِّرَ
عَلَيْهِ رِزْقُهُ } وعليه يحمل { فَطَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ } وقول ذلك
الذي أحرق وذري في البحر : { لَنْ نَقْدِرَ * اللّٰهُ عَلَيْهِ } أي لن ضيق . وقيل :
يقدر يعطي بقدر الكفاية . وقرأ زيد بن علي : ويقدر بضم الدال ، حيث وقع والضمير في
فرحوا عائد على الذين ينقضون ، وهو استئناف إخبار عن جهلهم بما أوتوا من بسطة الدنيا
عليهم ، وفرحهم فرح بطر وبسط لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ، ولم يقابلوه بالشكر
حتى يستوجبوا نعيم الآخرة بفضل الله به ، واستجهلهم بهذا الفرح إذ هو فرح بما يزول عن
قريب وينقضي . ويبعد قول من ذهب إلى أنه معطوف على صلات . والذين ينقضون أي : يفسدون في
الأرض ، وفرحوا بالحياة الدنيا . وفي الكلام تقديم وتأخير . ومتاع : معناه ذاهب مضمحل
يستمتع به قليلاً ثم يفنى . كما قال الشاعر : % (تمتع يا مشعث إن شيئاً % .
سبقت به الممات هو المتاع .
%) .
وقال آخر : % (أنت نعم المتاع لو كنت تبقى % .
غير أن لا بقاء للإنسان .
%) .
وقال آخر : % (تمتع من الدنيا فإنك فان % .
من النشوات والنساء الحسان .
%) .
قال الزمخشري : خفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نذراً ،
يتمتع به كعجالة الراكب ، وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو غير ذلك انتهى .
وهذا مني قول الحسن : أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم) أن الحياة الدنيا في جنب ما أعد
الله لأوليائه في الآخرة نذر ليس يتمتع به كعجالة الراكب ، وهو ما يتعجله من تميرات أو

شربة سويق أو غير ذلك . وقال ابن عباس : زاد كزاد الرعي . وقال مجاهد : قليل ذاهب من متع النهار إذا ارتفع فلا بد له من زوال . .

{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ }
إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن أَرَادَ } : نزلت : ويقول
الذين كفروا ، في مشركي مكة ، طلبوا مثل آيات الأنبياء . والملمتمس ذلك هو عبد الله بن أبي
أمية وأصحابه ، رد تعالى على مقترحي الآيات من كفار قريش كسقوط السماء عليهم كسفاً .
وقولهم : سير علينا الأخشبين ، واجعل لنا البطاح محارث ومغترساً كالأردن ، وأحي لنا
مضيئنا وأسلافنا ، ولم تجر عادة الله في الإتيان بالآيات المقترحة إلا إذا أراد هلاك مقترحتها ،
فرد تعالى عليهم بأن نزول الآية لا يقتضي ضرورة إيمانكم وهداكم ، لأنَّ الأمر بيد الله يضل من
يشاء ويهدي من يشاء . .

وقال الزمخشري : (فإن قلت) : كيف يطابق قولهم : لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل إن
الله يضل من يشاء ؟ (قلت) : هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم ، وذلك أن الآيات الباهرة
المتكاثرة التي أوتيتها رسول الله صلى الله عليه وسلم) لم يؤتها نبي قبله ، وكفى بالقرآن
وحده آية وراء كل آية ، فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأنه لم ينزل عليه قط كان
موضع التعجب والاستنكار ، فكأنه قيل لهم : ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم إن
الله يضل من يشاء ، فمن كان على صفتكم من التصميم وشدة التسليم في الكفر فلا سبيل إلى
اهتدائكم وإن أنزلت كل آية ، ويهدي